الجذور الحقيقية لحفل النّاير أو الينيْر

(Les origines de Yennayer)

مستلة من كتاب

الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور

للدكتور محمد عباسة

مستغانم 2012

(ص 153 وما بعدها)

***

تحميل

https://archive.org/details/Mouwachahat

رابط مباشر

https://archive.org/download/Mouwachahat/mouwachahat.pdf

***

Pr Mohammed Abbassa
Université de Mostaganem
(Algérie)

شاركوا في الحروب ضد النصارى.

ومن الأنواع الدينية التي تضمّنها الزجل موضوع المكفّر، وهو الغرض الذي يتضمّن الاستغفار والوعظ والحكمة تكفيرا عن الهزل والأحماض التي ينظِمها الزجّال في شبابه قبل توبته. والمكفّر ظهر في الشعر والموشح أولاً، ومن الطبيعي أن ينتقل إلى الزجل لأن الأزجال طرقت الأحماض والخلاعة أكثر من الأشعار الأخرى.

وفي أواخر الحكم الإسلامي في الأندلس مال الزجل إلى المدائح الدينية والتغنّي بالمناسبات كالمولد النبوي وعيد يناير أو "الينّير". أما الأزجال التي طرقت باب "الينّير" فقد ظهرت في بلاد الأندلس منذ عصر الإمام أبي بكر بن قزمان، ومن ذلك قوله في هذه المناسبة[76]:

الحلوونْ يُعجنْ ... والغزلانْ تباعْ
يفرحْ للينّيَرْ ... من ماع قطاعْ
لقد ذا النصباتْ ... اشكالا مِلاحْ
وفيه باللّه ... للعين انشراحْ
ومن لسْ ماع ... أولاد استراحْ
إلا من يدري ... فالحالْ اتساعْ
ترتيبْ الأثمارْ ... هوْ شيّا غريبْ
اللوزْ والقسطالْ ... والتمرْ العجيبْ
والجَوزْ والبلوط ... والتينْ والزبيبْ
تشتيتا منظومْ ... تفريقْ اجتماعْ

76 - ابن قزمان: الديوان، زجل (72)، ص 464.

جلوْزْ عين الثورْ   شيئا ملهوي
ينقرْ لك فالبابْ   نقراً مستوي
يصدّعْ راسكْ   فذاكَ الدّوي
ورزقْ الجلوزْ   في ذاك الصداعْ
كأنّ المَيْدا   دارْ فيها زواجْ
والحلونْ فيها   عروسْ بتاجْ
والتينْ والبلوط   الصوفْ والدّباجْ
نقيم الألوانْ   مقام الصناعْ
والنرنجْ احبابْ   إذا اتعدلوا
والليمْ دفافاتْ   إذا ولولوا
وإن كان ثم دَوْم   أو قصباً حلو
فلسْ لو تشبيهْ   إلا بالشماعْ
اتحكّم باللّه   ذهني وانطبعْ
وسُقت الأسحارْ   وسُقت البدعْ
ولا شكّ انٌ   شيئا مخترعْ
فانظرْ ما أحلا   هذا الاختراعْ
ترى ما سمّيتْ   وما قلتُ فيهْ
إنْ كانْ لسْ   بما نشتريهْ
فابنْ حمدينْ   يجمعني بيهْ
على أفضلْ حالْ   وخير انطباعْ
أبو عبد اللّه   ما أشهرْ عُلاكْ
وأنقى عرضكْ   واطيبْ ثناكْ
عِوضْ من ولدكْ   نريدْ ان نراكْ
تردْ الحلّ   لصَحْب المتاعْ

ولابن قزمان زجل آخر يتحدث في خرجته عن "الينّير"[77]:

الينّيَرْ كلمة لاتينية بمعنى الشهر الأول الشمسي (Ianuarius) أي يناير أو جانفيه. بدأ الأندلسيون يحتفلون بالينّير منذ العهد الأموي بالأندلس، وفيه تُصنع مختلف أطباق الحلوى ويتبادل الناس الهدايا ويُعطل العمل.

وكانوا يحتفلون بهذه المناسبة في اليوم السابع من ولادة المسيح واليوم الموالي له وهو الأول من شهر يناير، غير أنهم سمّوه "النيروز" وهي كلمة فارسية تعني رأس السنة الشمسية عند الفرس المصادف ليوم 21 مارس. أما في برّ العدوة فيسمّى هذا اليوم بـ "الينّير"[78]. وظل الأندلسيون والمغاربة يحتفلون بهذه المناسبة رغم تحذير فقهاء المالكية وتحريمهم مشاركة المسلمين المسيحيين أفراحهم.

وبعد سقوط الأندلس اقتصر "الينّير" على المناطق الشمالية للمغرب الأقصى والغرب الجزائري، الذي أصبح يسمّى "النّايرْ"، وبقي مجهولا في بقية مناطق الجزائر وخاصة سكان الجبال الذين عرفوه لأول مرة في السبعينيات من القرن العشرين. كما اشتهر الناس في هذا اليوم بأكلة "الشرشم" المتكون من البقول والقمح. وكانوا يحتفلون بهذه المناسبة حسب التقويم اليوليوسي (julien).

ولما دخلت فرنسا الجزائر وطبّقت التقويم الغريغوري (grégorien) لأول مرة، لاحظ أهل الغرب الجزائري أن أول يناير الجديد قد تقدم بـ 12 يوما وكان ذلك في يوم 19

77 - انظر، المصدر نفسه، زجل (40)، ص 284.

78 - ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، 294/1.

ديسمبر من التقويم القديم، لذا لم يحتفلوا حسب التقويم الجديد الذي حذف عشرة أيام سنة 1582 م، بل انتظروا حتى يوم 12 يناير وكانت الفرصة مواتية لمخالفة الاستعمار والتبرك بيوم 12 وهو مولد الرسول الأعظم. أما أهل المغرب الأقصى فهم يحتفلون يوم 13 من يناير، لأنه في الوقت الذي بدأوا يطبّقون فيه التقويم الجديد كان التقويم القديم قد تأخر بـ 13 يوما وذلك ابتداء من شهر مارس 1900 م.

لقد ارتبط "النّاير" بالمجتمع الريفي، غير أنه ليس بداية السنة الفلاحية التي تبدأ عند اعتدال فصل الخريف كما هو معروف في النيروز عند الأقباط والمهرجان عند الفرس، وإنما هو الاحتفال برأس السنة الميلادية كما هو الحال عند المسيحيين، غير أن المغاربة جعلوا منه احتفالا بمحصول الخريف من مكسرات وتمر وفواكه مجففة، وذلك حتى يخالفوا النصارى. و"النّاير" لا علاقة له بالوثنية مطلقا كما يعتقد بعض المتعصبين الذين يتخذون من التراث اللامادي وسيلة لمحاربة العروبة والإسلام. وقد تعوّد الأندلسيون أن يحتفلوا بأعياد النصارى على طريقتهم، ومن هذه الأعياد يوم العنصرة أو المهرجان في 24 يونيو، وهو عيد جني ثمار الصيف.

و – الرثاء:

أما الرثاء فإنه قليل في الأزجال، ومع ذلك فإن الزجّالة لم يكتفوا برثاء الأشخاص بل رثوا أيضا البلدان التي حزنوا لخرابها. وردَ هذا الموضوع في القصائد والموشحات، وقد اشتهر به الأندلسيون نظرا إلى أحداث الخراب التي شاهدوها في بلادهم.

ومن الأزجال النادرة التي بُنيتْ على الرثاء، زجل لأبي بكر